

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

المقياس: النقد الأدبي المعاصر والمدارس النقدية المعاصرة.

المحاضرة رقم 02: مستويات التحليل البنيوي (التحليل البنيوي للخطاب

الشعري)

أ.د مختاري خالد (جامعة وهران 01)

تقديم:

لقد ركزت البنيوية كمنهج على أنّ الأدب هو لغة خاصة وهو بيئة تترابط عناصرها بحيث لا يمكن استبدال كلمة بأخرى أو حذف جملة أو اختزال فقرة دون أن يختل النص، فالنص شبكة من العلاقات الداخلية الخفية التي تربط جملة الوحدات البنائية فاللغة الادبية لغو بنيوية تختلف عن لغة الفلسفة والدين والعلم، التي اختزلها لأنها لغة اصطلاحية، تؤدي المباني المحددة.

فالنقد البنيوي هو منهج لغوي يعنى باكتشاف البنى أولا وتحليلها بالتدرج من البنية السطحية من خلال المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية إلى البنية الدلالية العميقة المشكلة للنص، فالبنية ليست مجرد شكل وإنما مضمون أيضا وهي جوهر اللغة الشعرية¹. فمن ثم النص بنية متلاحمة العناصر، بنية كبيرة تحوى على بنى متفاوتة من حيث الطول، فهناك وحدات صغرى كالبنية الصوتية والصرفية، وهناك

¹- ينظر: ك.م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى العكوب، عين للدراسات و البحوث الاجتماعية ، 1998، ص 123.

وحدات أكبر كالبنية التركيبية، ووحدات كبرى مثل البنية السردية أو الوصفية أو الحوارية.

"فالمنهج البنيوي ليس منهجاً متعالياً على النص كالمناهج الاجتماعية أو النفسي وإنما هو منهج محايد للنص، يتشكل مع عملية الاكتشاف والتحليل وليس منهجاً جاهزاً يطبق على جميع النصوص بالتساوي²".

ففي المنهج البنيوي ما يصلح لنص ليس بالضرورة ينطبق على نص آخر، فما يلائم النص السردى قد لا يلائم النص الشعري، المنهج البنيوي ليس منهجاً شكلياً يتوقف عند المستوى السطحي للنص بل يتخلل كل البنى ليصل إلى البنية العميقة للنص.

إنّ البنيوية وإن انطلقت من الجهود اللغوية أساساً لدوسوسير والشكلانيين الروس وحلقة براغ وغيرها، فإنها أخذت أشكالاً مختلفة. فالبنيوية بنيوية منها البنيوية الشكلانية وهي غير البنيوية التكوينية والبنيوية، الفرنسية تختلف عن البنيوية الأمريكية، والبنيوية عند بارث ليس هي عند جينات أو تدوروف. وإن كانت هناك جذور مشتركة. والنقد البنيوية يختلف من دارس إلى آخر، بحسب النصوص التي يدرسونها والمدارس التي ينتمون إليها.

والنقد البنيوي وإن اختلف عند الغرب فقد اختلف كذلك لدى الدارسين العرب، من حيث المنظور الطريقة والاجراءات. فمن أهم الدراسات البنيوية عند

²- ينظر: ك.م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى العكوب، عين للدراسات و البحوث الاجتماعية ، 1998، ص 123.

النقاد العربي، "الخفاء والتجلي لكمال أبي ديب"، و"حركة الابداع لخالدة سعيد"، و"معرفة النص ليمنى العيد"، و"الخطبة والتكفير لعبد الله الغدامي" و"الشعرية العربية الحديثة لشربل داغر" و"بنية الخطاب الشعري لعبد المالك مرتض". .. فلكل دارس من هؤلاء النقاد منهجه في تحليل الخطاب الشعري. وإن كانت دراساتهم تلتقي في بعض المنطلقات النظرية والادوات الاجرائية، فكلها من حيث الاهتمام بالبنية تميز بين اللغة والكلام، وترجع الى مفهوم النسق والسياق والتزامن وعلاقات الغياب والحضور مع هيمنة عناصر على اخرى في تحديد البنية، ويعتبر كتاب الرؤى المقنعة وجدلية الخفاء والتجلي لكمال أبي ديب من اهم الدراسات البنيوية في تحليل الخطاب الشعري..

1-المستوى الصوتي:

فالغاية من الدراسة الصوتية هي الكشف عن البنية الايقاعية للنص، بنية إيقاعية تشيع في النص جوا نغميا يكفل له التأثير ويميز أدبيته، على نطاق واسع خاصة في الشعر ويكون ذلك في مرحلتين:

أ-المرحلة الأولى: هي المرحلة الصوتية الفونيميّة (phonématique) والتي تدرس النظام الحرفي (consonnantique) والنظام (Vocalique) الحركي.

ب- المرحلة الثنائية: وتدعى النغمية (prosodie) وتدرس فيها النبرة (Laccent) ونغمة الجملة (INTONATION) والطبقات الصوتية (Tons)

وتؤول الدراسات الصوتية نهاية الأمر إلى الكشف عن البنية الإيقاعية للنص والتي تشيع فيه جواً نغمياً يكفل له التأثير ويميز أدبته على نطاق واسع خاصة في الشعر ولا يمكن دراسة الأثر الأدبي بمعزل عن مؤثرات خارجية قد تكسبه دلالة خطيرة، تجليها نظرية الإيقاع والتي: "يجب أن تحتوي كل العناصر اللسانية والنفسية والثقافية للكتابة والقراءة"³.

2-المستوى الصوفي: وهو خطوة تالية، تتضامّ فيها العناصر الصوتية في نظم مورفولوجية تشكل بنى إفرادية، محددة الدلالة معجمياً، يطلقها النسق من عقالها في مدارات الحقول الدلالية التي يغذيها السياق، ويضفي عليها من ظلاله ما يعدّد دلالاتها، وتكون المواد الصوتية (المونيمات والفونيمات) مواد بناء فقط خالية من كل معنى. كما يرصد المستوى الصرفي تشكيلات البنى الإفرادية في النسق زيادة وتجديداً، وهو ما يختم تغير الدلالة. زيادة، ونقصاً، ومضاعفة، ومصاحبة، وتشديداً، وتقليلاً وتصغيراً.. كذلك يمكن القول: "أن البناء الصرفي يوجه المتلقي إلى تفهم النشاط اللغوي في اعتبارات بعيدة وراء الصفات الموضوعية أو الدلالات الموجهة، ويعمل في إدراك مواقع المكونات الصرفية على الوجدان، والواقع متميز تماماً من طبيعة المكونات الصرفية في ذاتها وإن كان يتصل بها"⁴.

³ -Henri Mshonic Fragments d'une critique du rythme en langue française n sept 74 p:74

⁴ - تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. دار الحوار للنشر والتوزيع ط1 1981، سوريا، ص:19.

3-المستوى التركيبي: إذا كان المستوى الصرفي لا يتجلى -جمالياً- إلا من خلال التركيب فإن المستوى التركيبي لا يمكن أن يقف عند الدوال في نطاق ما تدل عليه ابتداءً، وتلك خاصية معجمية يتولى البحث المعجمي إبرازها لمعرفة خصائص البنى الإفرادية: الحسية والتجريدية والحيوية، بما يقدم من تصور تأثيلي لها من زاوية الوضع والنقل. وإن توسّع البحث الدلالي واجتهد في تحديد حقولها الحافة بها. إلا أنّ التركيب خرق للسكونية المعجمية، وتجاوز للتحديدات الحقلية الدلالية من خلال ما يكسبها من حدة تنبع من أنساقه أولاً قبل أن يلبسها السياق ألواناً من التحول، في حدود قواعدية اللسان. عندها تغدو مهمة إدراك التركيب مهمة جمالية لأنها تتصدى له من خلال الأدبية لا من خلال القواعدية، ذلك أن تحليل التركيب: "هو تفجير لهماكل لغة ما بإبراز كيفية الانتقال من الدال إلى الدلالة"⁵. فلكل خطاب أو نص معجم خاص به فالخطاب الصوفي له معجم خاص يتمثل في الجمع وجمع الجمع، ومن مفرداته الاتحاد الفناء، الوجود... والخطاب القرآني له الفاظه الخاصة به منها: الله، رب الناس، العرش، الرحمان... والخطاب السياسي له منجز لفظي خاص منه الديبلوماسية، الهينات، المجالس، الانتخابات...

فالتحليل التركيبي هو تفجير للغة بإبراز كيفية الانتقال من الدال الى الدلالة، ذلك أن العمل الادبي تتقاسمه علاقات ثنائية تتمثل في العناصر الحاضرة والغائبة"⁶. فالمظهر الاول تركيبي والثاني دلالي، فتمظهر التركيب الخطي بنية سطحية تحكمها

⁵- ينظر: توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث م.س.ص:60

⁶- نفسه، ص 61.

الدوال فتشكل عنصر الحضور فيه، أما البنية العميقة فغياب يندس في ظلال كل دلالة.

4-المستوى الدلالي: ويتصل هذا المستوى بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بالمجال النفسي والاجتماعي والإشاري عامة، وتمارس وظيفتها على درجات متفاوتة في النثر والشعر(36). إذ أن الدلالة تتحدد بشرطين متلازمين: داخل النص وخارجه: "فأما الجانب الأول فيتمثل في أن المعنى لا يحصل إلا في نطاق علاقات سياقية، وأما الجانب الثاني فهو أن المعنى لا يصبح دلالة إلا عند ارتباطه بالإحالة (reference)، ومن هنا فإن الوظيفة الدلالية تتم أفقياً على مستوى علائقي سياقي وعمودياً على مستوى مرجعي".

4-المستوى الدلالي: ويتصل هذا المستوى بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بالمجال النفسي والاجتماعي والإشاري عامة، وتمارس وظيفتها على درجات متفاوتة في النثر والشعر⁷. إذ أن الدلالة تتحدد بشرطين متلازمين: داخل النص وخارجه: "فأما الجانب الأول فيتمثل في أن المعنى لا يحصل إلا في نطاق علاقات سياقية، وأما الجانب الثاني فهو أن المعنى لا يصبح دلالة إلا عند ارتباطه بالإحالة (reference)، ومن هنا فإن الوظيفة الدلالية تتم أفقياً على مستوى علائقي سياقي وعمودياً على مستوى مرجعي"⁸، ومرد ذلك إلى أن الدلالة المعجمية

⁷-انظر صلاح فضل: م.س.ص:322.

⁸-توفيق الزيدي: م.س.ص:124.

قاصرة على تحديد البنى الإفرادية لأن ما يكتنفها من تعدد قد يكون مشار كثير من الإرباك والحيرة لدى المتلقي، ولهذا السبب كان على علم الدلالة (semantique) أن يقف عندها فيميز فيها خمسة معان:

أ- المعنى الأساس: وهو الشائع القائم بين الباحث والمتلقي وعليه يتوقف مبدئياً شرط التواصل كدلالة الأسماء على مسمياتها دلالة واضحة.

ب- المعنى الإضافي: أو العرضي أو الضمني وهو ما يملكه اللفظ من دلالة إلى جانب معناه الأساس وتصوره الخالص وهو يفتقر إلى صفة الثبات وإنما تتحكم فيه الثقافة والخبرة والوسط.

ج- المعنى الأسلوبى: وفيه تتحول من اللفظ إلى النسق، وما يشيع فيه من معاني ملازمة للظرف الاجتماعى والبيئى المستعملة كما يحمل كثيراً من ميزات تخصصه ومركزه.

د- المعنى النفسى: وهي خاصية أخرى قد يكسبها المستعمل لألفاظه وتراكيبه على السواء من خلال دواعى نفسية خاصة تملئها حالته ووضع ساعة الاستعمال، أو تتوالد لديه من خلال سلوك معين ملازم، أو ارتباطها لديه بما يجعلها مدعاة الإثارة ذات انفعال فيه.

هـ- المعنى الإيحائي: وهو ما يرتبط في البنية الإفرادية إما في جانبها الصوتي أو تشكيلها الصرفي بجملة من الإيحاءات تتراكم، فتكون صورتها الدلالية عند المتلقي وقد ربطها "ستفن أولمان" بالتأثير الصوتي والصرفي والدلالي جملة واحدة⁹.

5- المستوى الرمزي أشد خطورة من المستويات السابقة لأنه تتويج لها وقد تحررت الدلالة من سلطة الدليل، وغدت اللغة مصادرة مستمرة لذاتها عبر تآكل دوالها في آتون الرمز المتحرر. ويشكل الرمزي -أخيراً- خاتمة التحليل البنيوي للأثر الأدبي والذي يفصح عن أدبية النص في شكل متكامل، وهي رحلة تبتغي "تحويط" الأثر الأدبي من جميع جوانبه داخلياً وخارجياً، مدركة أن السياق ينبع منه: من خلال لغته في مستوياتها المختلفة تحيل عليه "مرجعياً" كل مرة لتزداد غنى وإحصاباً¹⁰. إلا أن القراءة البنيوية لا تنساق وراء هذه الخطوات في كل إجراء، وإنما قد تقصر همها على مستوى معين مغضية الطرف عن غيره، مستفيدة من حضوره في تشكيل الخطاب.

خاتمة: فما هو متفق عليه عند أغلبية الدراسين والنقاد أن القراءة البنيوية لا تنساق دائماً وراء هذه الخطوات في كل إجراء نقدي، وإنما قد تقصر هما على مستوى معين من المستويات المذكورة سالفاً.

⁹-انظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة. عالم الكتب ط2 1988 القاهرة الصفحات 36-37-

38.

¹⁰ - جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

ط1بيروت 1984، ص:1